

المحاضرة الثانية: نشأة و تطور المؤسسة

المؤسسات الاقتصادية مرت بعدة مراحل هيئتها للظهور بأشكالها الحالية، حيث خضعت لتأثيرات التطورات المتواصلة التي شهدتها النظم الاقتصادية والاجتماعية والحضارات البشرية، ويمكن الإشارة إلى أهم المراحل التي عايشتها في النقاط التالية:

أولاً: مراحل ما قبل الثورة الصناعية

1- الإنتاج الأسري البسيط (الإقطاعي): كانت الأسرة في العصور البدائية هي وحدة الإنتاج

الأولى وهي المستهلك في نفس الوقت، حيث كانت تنتج الأشياء الضرورية للحياة بأدوات بسيطة وتقليدية يقوم بنحتها وتحضيرها كبار السن؛

ومن ميزات المجتمع البدائي سيطرة الإقطاعية في الريف واستغلال أسر كاملة من طرف ملاك

الأرض؛

وقد ظهر في هذا العصر أول شكل من أشكال تقسيم العمل إذ تخصصت بعض الجماعات في الزراعة، بينما تخصص البعض في تربية المواشي، وعادة ما تتم المبادلة بالمقايضة، وكلما زاد عدد السكان في قرية ما تحولت من الطابع القروي إلى الطابع الحضري، مما أدى إلى نشأة المدن والتجمعات الحضرية وتحرر الفلاحين من الحقول الريفية وممارستهم لبعض الحرف مثل النجارة، الدباغة وغيرها.

2- ظهور الوحدات الحرفية: الظروف المتمثلة في استقرار الأفراد في المناطق المناسبة (عادة ما

يتم بجوار المصادر المائية) شجعت على تكوين تجمعات حضرية، وارتفاع الطلب على المنتجات الحرفية من ملابس وأدوات إنتاج ولوازم مختلفة، الأمر الذي نتج عنه ظهور وحدات يتجمع فيها أصحاب الحرف المتشابهة تحت إشراف كبيرهم أو أقدمهم في الحرفة في شكل أسري يغيب فيه الاستغلال أو القسوة من أجل إنتاج منتجات محددة، وهكذا فقد وجدت عدة طوائف حرفية للنحاسين، الحدادين وغيرها.

3- النظام المنزلي للحرف: ساهم ظهور طبقة التجار والرأسماليين إلى اللجوء لعدة طرق من أجل

الحصول على المنتجات وبيعها في ظروف مرضية، ومن الطرق المستعملة، الاتصال بالأسر في منازلهم وتمويلهم بالمواد من أجل إنتاجهم لسلعة معينة، وهكذا ظهرت فئة العمال الحرفيون الذين لا يملكون سوى عملهم، وممولون من طرف تجار أصحاب رؤوس أموال.

ثانياً: مراحل ما بعد الثورة الصناعية

4- ظهور المانيفاكتورة (la manufacture): ساهمت التطورات السريعة التي عرفتها طرق

الإنتاج الحرفي من جهة، وارتفاع عدد السكان من جهة ثانية، وظهور اكتشافات جغرافية جديدة من جهة ثالثة إلى ثراء طبقة التجار الرأسماليين، حيث كانوا يلجؤون إلى إيجار أدوات الإنتاج اليدوية إلى الأسر من أجل إنتاج طلباتهم، واستطاع هؤلاء التجار في وقت لاحق أن يقوموا بتجميع

الحرفيين في مكان واحد حتى يتمكنوا من مراقبتهم بشكل أحسن، وهكذا ظهرت المصانع في شكلها الأول "المانيفاكشور" والتي تتكون من أدوات بدائية يشتغل عليها العمال بأيديهم تحت إشراف المالك.

وكان لهذا النوع الجديد من المؤسسات شكلين أساسيين:

✚ منشآت تجمع عددا من الحرفيين الذين كانوا يشتغلون بنفس الحرفة قبل ذلك، وفي هذه المنشآت يقومون بجزء معين من مجموع مراحل عملية إنتاج سلعة معينة؛

✚ منشآت تضم مجموعة من الحرفيين لهم حرف مختلفة، ويشاركون أو يتعاونون من أجل تحقيق منتج معين، مثل إنتاج عربة الخيل، إذ يمكن أن يشترك في ذلك كل من النجار، الحداد، الميكانيكي والدهان...إلخ.

✚ ومهما كان نوع هذه المؤسسات إلا أنها كانت منعرجا حاسما في حياة المجتمع الرأسمالي من جهة، وفي تاريخ المؤسسة الاقتصادية من جهة أخرى.

5- المؤسسة الصناعية الآلية: بعد أن توفرت الأسباب من اكتشافات علمية موجهة نحو الإنتاج الصناعي، واتساع السوق أكثر فأكثر، ولعب الجهاز المصرفي دورا في التطور الاقتصادي، ظهرت المؤسسات الآلية الأولى التي كانت فيها وسائل العمل آلية بعد أن كانت المانيفاكشور يدوية، ويرجع الاقتصاديون ظهور أول فبركات (fabriques) أو مؤسسات رأسمالية إلى بداية القرن 18، حيث تعرف على أنها: "تعاون بين مختلف الطبقات العمالية التي تراقب وبشكل من التنظيم والدقة، نظاما من الآلات الميكانيكية المنتجة، موضوعة بشكل مستمر والتي تعمل بتوازن دون انقطاع من أجل إنتاج نفس الشيء وكل هذه الأعضاء مرتبطة بقوة محرك ذاتيا."

6- مرحلة التكتلات الاقتصادية (أو الاحتكارات) والشركات المتعددة الجنسيات: دفع التطور الذي شهده الاقتصاد الرأسمالي بالمؤسسات إلى إتباع استراتيجيات خاصة، تمكنها من الولوج إلى الأسواق العالمية والسيطرة عليها، فظهرت التكتلات من جهة، والشركات المتعددة الجنسيات من جهة أخرى كشكل من أشكال المؤسسة الاقتصادية.

• **فالتكتلات الاقتصادية تتمثل في:**

✓ **الكارتل:** هو تركب لعدة مؤسسات في نفس القطاع في شكل اتفاق فيما بينها، على تحديد الأسعار للمواد التي تنتجها، أو توزيع الأسواق فيما بينها، وتبقى هذه المؤسسات مستقلة ماليا وقانونيا تتحكم في السوق دون منافسة حقيقية وتحقق أرباحا احتكارية، وقد ظهر أول كارتل بألمانيا سنة 1904 في مجال الصناعات الثقيلة وهو كارتل الحديد والصلب؛

✓ **التروست:** هو تكتل ينتج عن اندماج عدد من المؤسسات تفقد فيه استقلاليتها المالية وشخصيتها القانونية والمعنوية، وينشأ التروست بعدة طرق، مثل اندماج أكثر من مؤسسة، أو شراء إحداها لأخرى أو أكثر من خلال أحد الشركاء أو مجموعة منهم، أو عن طريق الطلب العام الذي يتم في البورصة بشكل علني تتقدم فيه مؤسسة بطلب علني إلى مؤسسة أخرى لشراء جزء من أسهمها، لتصبح أغلبية رأسمالها في يد المساهمين بالمؤسسة الأولى، والتركز من خلال التروست يسمح للمؤسسة من تحقيق عدد من المزايا، منها: تحسين مردوديتها، وأيضا انخفاض الأسعار لمنتجاتها، ومن أمثلة هذا التجمع شركة صناعة الأدوية "AVENTUS" وهي شركة فرانكو ألمانية ناتجة عن اندماج شركة فرنسية وأخرى ألمانية؛

✓ **شركة التملك (الهولدينغ أو الرأسمال المالي):** هو تجمع ناشئ عن شراء بنوك لأسهم عدد من المؤسسات في قطاعات متشابهة أو مختلفة لتصبح شبكة من المؤسسات تحت استراتيجية وتوجه الممتلكين الماليين دون أن تفقد هذه المؤسسات استقلاليتها القانونية.

• **إضافة إلى هذه التكتلات نجد الشركات المتعددة الجنسيات:** أخذت عدة تسميات منها دولية، عالمية، عابرة للقارات، ومن التعريفات التي قدمت لهذه المؤسسات هي كيانات اقتصادية عملاقة تزاوّل الإنتاج والتجارة عبر القارات، ولها في دولتين أو أكثر (بلدان مضيقة) مؤسسات وليدة أو فروع تتحكم فيها الشركة الأم وتخطط لكل قراراتها تخطيطاً شاملاً، وهي تعتبر من رموز النظام الاقتصادي العالمي حظيت بدعم الدول الصناعية الكبرى، ومن أمثلة هذه الشركات نذكر: شركة نستلي، جنرال موتورز، جنرال إلكتريك، كوكاكولا، ماكдонаلدز...إلخ.

7- مرحلة المؤسسة الرقمية: يعرف العصر الحاضر بعصر التكنولوجيا الرقمية، واستخدام وسائل الاتصال الحديثة، الأمر الذي يضع على عاتق المؤسسة الاقتصادية رهانات جديدة ويدفعها للتحويل إلى الرقمنة وإعادة هيكلة عملياتها وتشكيل بنيتها التحتية، وكذا التحكم في أدوات ووسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بالإضافة إلى المنصات والمنظومات المحوسبة الرقمية، الحوسبة والتخزين السحابي التي يمكن أن تساعد على التحويل الرقمي، وضمان استمرارية المؤسسة في بيئة يسودها التغير المستمر.